



العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل
صوت المرأة المسلمة

المدرسة الأولى

إعداد

نوارس فائق



كربلاء المقدسة

FM-95.3MHZ

النجف الأشرف

FM-103.9MHZ

ذي قار

FM-95.3MHZ

ميسان

FM-98.3MHZ

radio@alkafeel.net

الكتاب: المدرسة الأولى.

الإعداد: نوارس فائق.

التقديم: ليلى عبد الهادي.

المونتاج الإذاعي: مريم المعمار.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة / شعبة إذاعة الكفيل.

التصميم: علاء سعيد الأسدي.

الإخراج الطباعي: شياء سامي.

التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.

المطبعة: مطبعة دار الكفيل.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

ربيع الأول ١٤٣٦ هـ - كانون الثاني ٢٠١٥ م.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلاماً على أصحابه البررة المنتجبين
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد: لا يخفى أننا مازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو
نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها
رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك
الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ
البنیان، عتيد المراسي، لذا ومساهمة في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت
المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى
أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم
الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت
لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كرايس.



الحلقة الأولى

تجلي روح الأم بين أعضاء الأسرة



تجلي روح الأم بين أعضاء الأسرة

لعل أهم عامل يثير الرأفة والتضحية والإيثار بين أفراد العائلة هو تجلي روح الأم بين أعضاء الأسرة، ومن هنا لا بدّ من القول أنّ المجتمع الإنساني يحتاج إلى علل وعوامل؛ ليؤمن صفاء الضمير بين أفرادها، ولا تكفي فقط القوانين والمقررات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ومن ناحية أخرى، إنّ المجتمع البشري الكبير يتشكل من مجتمعات عائلية صغيرة، ومادام لم يقع سبب الرأفة بين أعضاء الأسرة، فإنّ صفاء الضمير وروح التعاون وعلاقات المحبة لا تقوم أبداً عند تشكل المجتمع الرسمي؛ لأنّه رغم أنّ الأب يتولى الأعمال الإدارية لمجتمع صغير أي العائلة بعنوان قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١)، لكن أساس العائلة الذي تُشيد على الرأفة والوفاء والارتباط هو بعهدة الأم؛ لأنّ الأم تلد أبناءً يرتبط كل منهم بالآخر، والأفراد الذين يولدون من امرأة واحدة، ليسوا مثل فواكه شجرة واحدة، حيث لا تظهر روح الإيثار الإنساني في مستوى النبات، بل إنّ الأبناء الذين يولدون من امرأة واحدة سواء كان ذلك بفاصلة زمنية أم بدون فاصلة، يرأف ويرحم بعضهم بعضاً، وينمّون اتصالهم الفطري في ظل التعاليم الدينية، وقد عدّ حفظ هذا الاتصال وعدم نسيانه من الواجبات المهمة في الدّين، وإذا قطع شخص هذا الاتصال الفطري والديني، سيجرم من الرحمة الإلهية الخاصة؛ لأنّ صلة الرّحم هي من الأشياء التي أمر بها الله تعالى.

(١) النساء: ٣٤.

وقد ورد اللعن لقاطعي الشيء الذي يجب وصله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

ولعل سر ذكر الإفساد في الأرض إلى جانب قطع الشيء اللازم وصله هو أنَّ الأفراد الذين نموا في عوائل متدينة أصيلة، وأدركوا قانون صلة الرحم، وحفظ اتصال الأعضاء وعلموا به، عندما يدخلون المجتمع الرسمي لا يقومون بالإفساد في الأرض؛ لأنَّهم دخلوا المجتمع بروح اتصال وإيثار، ولكن الذين يترعرعون في عوائل غير متدينة، فأساس الارتباط الفطري يكون قد أهمل فيما بينهم من أثر عدم مراعاة قانون صلة الرحم ولزوم الإيثار والتعاون وغيرها، لذا عندما يدخلون إلى المجتمع الرسمي تظهر لديهم ظواهر التوحش، فنموا حالات التفرد وتقديم المصالح الشخصية على كل اعتبار آخر، والخلاصة مما ذكر أنَّ قانون صلة الرحم هو قاعدة مهمة تقوم بتربية المجتمع الصغير وتبهيئ أرضية ازدهار المجتمعات الكبيرة.

كما وإنَّ صلة الرحم هي قاعدة سائدة على الأرحام والمحارم والأقرباء، وسبب كل هذه الارتباطات هو ظهور جميع الأعضاء من رحم واحد، وذلك الرحم الذي يلد الأعضاء المرتبطة بوجود في المرأة، والنتيجة أنَّ النواة الأساس للعائلة تتعهدا المرأة رغم أنَّ الرجل مسؤول عن الأعمال التنفيذية، وتأمين نفقات الحياة وأمثال ذلك، ومن هنا نقرأ في القرآن الكريم ضمن توصية

الإنسان بتكريم الوالدين تذكيراً بجهود الأم في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١).

كما أنَّ الأمام السجاد عليه السلام بيّن في رسالة الحقوق لزوم مراعاة حقوق الأرحام بمقدار الارتباط والقربة بالنسبة إلى الرحم، وأكد أنَّ أول حق في النظام العائلي هو للأُم، ثم تحدّث عن حق الأب وقال عليه السلام: «وَحقوقُ رَحْمِك كثيرة، متصلة بقدر اتصال الرحم في القربة، فأوجبها عليك، حق أمك ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب»^(٢)، وهذا التقديم في حق الأم يوحى بعظيم مقامها ومهامها على حدٍّ سواء.

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: ١ / ٩.



الحلقة الثانية

ماذا نفعل عندما تواجه أسرتنا أزمة؟

ماذا نفعل عندما تواجه أسرتنا أزمة؟

إنَّ بعض الأسر تجد صعوبة في التعامل مع أزمات حياتية لا تنتهي، ولا تعرف هذه الأسر سبيلاً إلى إيجاد حلول لها حتى وإن كانت أزمات بسيطة نسبياً، نقول أنَّ هذه الأسر تفتقر إلى المهارات اللازمة لمواجهة الأزمات وفهمها ومعالجتها، ولذلك فهي تخرج من أزمة وتدخل في أخرى دون إحساس بطعم الحياة ومتعتها.

وبالرغم من أنَّنا نسعى جميعاً إلى ما يشبه الكمال، إلا أنَّه ليس هناك أسرة مثالية؛ ففي كل أسرة مواطن قوة ومواطن ضعف، ولكل أسرة حظ وافر من المشكلات والتحديات، ومشكلات الأسرة تأتي في أشكال وأحجام مختلفة، بعضها قصير الأمد ويمكن حله بسهولة، وبعضها الآخر أكثر صعوبة وأطول مدى، فقد تأخذ هذه المشكلات شكل مرض أو وفاة، أو تأخذ شكل أزمة مالية، أو فقدان عمل ربِّ الأسرة أو تغيير عمله، أو رسوب في امتحان وغيرها، وهناك بعض أسباب عدم القدرة على مواجهة الأزمات في الأسرة وهي:-

١- عدم الاتصال بين أفراد الأسرة:-

فبعضهم يتجنب الحديث مع بعضهم الآخر، أو لم يتعلموا كيف يستمعون إلى الآخرين لفهم ما يقولون من خلال كلامهم وأفعالهم.

٢- عدم القدرة على حل النزاعات والخلافات القديمة :-

وهذا يحدث في العادة؛ لأنَّ أفراد الأسرة لا يتكلم الواحد منهم مع الآخر بطريقة مثمرة ومفيدة، وهذا من شأنه أن يجعل المشكلة تتواصل وتزداد تعقيداً، كما يجعل حياة الأسرة أكثر صعوبة مع مرور الوقت.

وفي بعض الأسر لا يتعلم الأفراد كيف يفاوضون، وكيف يتخلصون من مشاعر القهر القديمة، ومن المرجح أن يتعلم الأطفال من الأهل كيف يتصرفون في مواجهة مشكلة أو أزمة، فيرفضون التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم الدفينة، وهنا تصطدم حياة الأسر بجدار اسمتي قاس، وتسودها الفوضى ويتوقف الإنتاج والإنجاز.

٣- الافتقار إلى المهارات لحل المشكلات المستجدة :-

فأفراد الأسرة غير متففين إن كانت هناك مشكلة معينة تواجههم، ولا يعرفون مدى خطورتها، ولا يعرفون المسؤول عنها، وهم غير متففين على أوليات معينة في حياتهم.

٤- الافتقار إلى الدعم النفسي في الأسرة :-

الأسرة هي المصدر الأول والأساس لتقديم الدعم النفسي لمن يعيش فيها، ويجد الأطفال والكبار أيضاً صعوبة كبرى في البحث عن هذا الدعم النفسي والحصول عليه خارج الأسرة، فتسوء حالتهم النفسية ويسوء تحصيلهم المدرسي.

٥- الافتقار إلى المهارات في توزيع المسؤوليات :-

فالأُسرة هنا لا تعرف من هو المسؤول؟ وعن ماذا؟، وهنا تعم الفوضى في البيت، ولا أحد يعترف بمسؤوليته عن أي شيء، ويبدأ مسلسل تبادل الاتهامات الذي لا ينتهي، مما يزيد المشكلة تعقيداً، وتحل العداوات والتحالفات في البيت، فيزداد انقساماً على انقسام ويستحيل أي قدر من التسامح ويتأثر الأطفال سلبياً في هذا الجو، فيخفقون في تطوير صورة ذاتية إيجابية، ويتراجع إحساسهم باحترام أنفسهم، وتضعف قدرتهم على اكتساب مهارات اجتماعية.

٦- الأزمات الزوجية :-

فلا تخلو الحياة الزوجية من مشكلات وأزمات، فكل ذلك جزء من الحياة اليومية المليئة بالمزاحمت والمنافسات والمعارك العاطفية، والمهم أن نتعلم كيف نخرج منها سالمين مقتنعين بضرورة التفاوض للحفاظ على علاقة سليمة.

ومن خلال الدراسات الاجتماعية يؤكد خبراء علم الاجتماع أن المشاكل الزوجية لها فوائد؛ لأنها من وجهة نظرهم فرصة حقيقية ليتعرف من خلالها كل من الزوجين على ما يغضب الآخر ويزعجه، أو ما يفرح الآخر ويسعده، ويتلمس طباعه على أرض الواقع، بل ويعرف أخطاء نفسه، فيحاول إصلاحها وتعديل مسارها وتصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة التي قد تكونت لديه ضد الطرف الآخر.

ومن ناحية أخرى يستطيع كل من الزوجين أن يتعرف على أفكار وزوجه

وطموحاته وتطلّعاته، فيشارك في تلك التطلعات والآمال وبذلك تمتد جسور التواصل بين الطرفين، وخير علاج هو أنّ الكثير من الأزواج يعتقدون أنّ مسؤولياتهم تعتمد على الإنفاق على الأسرة، كذلك بعض الزوجات تعتقد أنّ مسؤولياتهن تنحصر في إعداد أصناف متميزة من الطعام، ورغم ظن هذا النوع من الأزواج والزوجات أنّهما يقومان بدورهما على أكمل وجه، إلا أنّهما لا يشعران بالسعادة لغياب عنصر الاحتياج العاطفي، فالحياة العاطفية هي نقطة مهمة للقاء بين الزوجين، وتعد من أهم أسباب نجاح الحياة الزوجية أو فشلها، لذا لا بدّ أن تبني العلاقة الزوجية من البداية على أسس سليمة من جانب الطرفين، وفهم كامل لمعاني الزواج والمسؤولية، وعدم إغفال الاستيعاب العاطفي، وهذا كله بالتالي سينعكس إيجاباً على الأسرة ككل؛ لأنّ الزوجين أهم الأطراف، وإذا ما تأزم الوضع بينهما حدث شرخ في كيان الأسرة.

إذن، بالتأمل فيما ذكرناه نكون قد وقفنا على أسباب الأزمات في الأسرة، وبمعرفتنا للأسباب نتمكن من الوقاية منها قبل حدوثها إن شاء الله تعالى.



الحلقة الثالثة

المنهج التربوي العام في العلاقات الأسرية



المنهج التربوي العام في العلاقات الأسرية

مما لا شك فيه أنَّ للمنهج المتبع في الحياة تأثيراً على السلوك، فهو الذي يجعل للإيمان والشعور الباطني حركة سلوكية في الواقع، ويحول هذه الحركة إلى عادة ثابتة، وحيث إنَّ وحدة المنهج تؤدي إلى وحدة السلوك من حيث الابتعاد أو الاقتراب من التعاليم والبرامج الموضوعية؛ فعلى هذا ينبغي على الوالدين الاتفاق على منهج واحد مشترك يحدد لهما العلاقات والأدوار والواجبات في مختلف الجوانب.

والمنهج الإسلامي بقواعده الثابتة من أفضل المناهج التي يجب تثبيتها في الأسرة المسلمة، فهو منهج رباني موضوع من قبل الله تعالى، المهيمن على الحياة بأسرها، لا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد ولا تكليف بما لا يطاق، وهو موضع قبول من الإنسان المسلم والأسرة المسلمة، فجميع التوجيهات والقواعد السلوكية تستمد قوتها وفعاليتها من الله تعالى، وهذه الخاصية تدفع الأسرة إلى الاقتناع باتباع هذا المنهج وتقرير مبادئه في داخلها؛ فلا مجال للنقاش في خطئه أو محدوديته أو عدم القدرة على تنفيذه، فهو الكفيل بتحقيق السعادة الأسرية التي تساعد على تربية الطفل تربية صالحة وسليمة.

وإذا حدث خلل في العلاقات أو تقصير في أداء بعض الأدوار، فإنَّ تعاليم المنهج الإسلامي تتدخل لإنهائه وتجاوزه.

ومن أهم واجبات الوالدين إشاعة الود والاستقرار والطمأنينة داخل

الأسرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١).

فالعلاقة بين الزوج والزوجة أو الوالدين هي علاقة مودة ورحمة، وهذه العلاقة تكون سكناً للنفس وهدوءاً للأعصاب وطمأنينةً للروح وراحةً للجسد، وهي رابطة تؤدي إلى تماسك الأسرة وتقوية بنائها واستمرار كيانها الموحد، والمودة والرحمة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والتعاون الواقعي في حل جميع المشاكل، وإزالة جميع العوائق الطارئة على الأسرة، وهي ضرورية للتوازن الانفعالي عند الطفل، يقول علماء النفس: «اطمئنان الطفل الشخصي والأساسي يحتاج دائماً إلى تماسك العلاقة بين الوالدين ويحتاج إلى انسجام الاثنين في مواجهة مسؤوليات الحياة»، وقد ركز أهل البيت عليهم السلام على إدامة علاقات الألفة والمحبة والمودة داخل الأسرة، وجاءت توصياتهم موجهة إلى الرجل والمرأة على السواء، فقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي»^(٢)، وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته»^(٣).

كما وقال رسول الله ﷺ: «من اتخذ زوجةً فليكرمها»^(٤)، فأقوال أهل

(١) الروم: ٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٤٤٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ١ / ٢١٧، من لا يحضره الفقيه: ح ٤٥٣٧.

(٤) مستدرک الوسائل: ١ / ٢٧٧.

البيت ﷺ وتوصياتهم في الإحسان إلى المرأة وتكريمها عامل مساعد من عوامل إدامة المودة والرحمة، وقد أوصى أهل البيت ﷺ المرأة أيضاً بما يؤدي إلى إدامة الألفة، ومنها طاعة الزوج، قال رسول الله ﷺ: «إذا صَلَّت المرأة خَمْسَهَا، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»^(١).

والمنهج الآخر في العلاقات الأسرية هو مراعاة الحقوق والواجبات، فقد وضع المنهج الإسلامي حقوقاً وواجبات على كل من الزوجين، والمراعاة لها كفيل بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأسرة.

ومن أهم حقوق الزوج هو حق القيمة، حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنفُسِهِمْ﴾^(٢).

فالواجب على الزوجة مراعاة هذا الحق؛ لأنَّ الحياة الأسرية لا تسير بلا قوامة، والقوامة للرجل منسجمة مع طبيعة الفوارق البدنية والعاطفية لكل من الزوجين، وأن تراعي هذه القوامة في تعاملها مع الأطفال وتشعرهم بمقام والدهم.

ومن المناهج الأخرى تجنب إثارة المشاكل والخلافات؛ لأنَّ المشاكل

(١) مكارم الأخلاق: ١ / ١٩٩.

(٢) النساء: ٣٤.

والخلافات في داخل الأسرة تخلق أجواءً متوترة ومتشنجة تهدد استقرارها وتماسكها، وقد تؤدي في أغلب الأحيان إلى انفصام العلاقة الزوجية، وتقويض الأسرة، وهي عامل قلق لجميع أفراد الأسرة بما فيهم الأطفال، حيث تؤدي الخلافات والأوضاع المتشنجة بين الوالدين إلى خلل في الثبات والتوازن العاطفي للطفل في جميع المراحل التي يعيشها بدءاً من أشهر الحمل الأولى والسنين الأولى بعد الولادة إلى المراحل اللاحقة بها، فالشعور بالأمن والاستقرار من أهم العوامل في بناء شخصية الطفل بناءً سويًا متزنًا، وهذا الشعور ينتفي في حالة استمرار الخلافات والعلاقات المتشنجة، فالمنهج الإسلامي مبني على أسلوب الحث والتشجيع على الوقاية من حدوث الخلافات أو معالجة مقدماتها أو معالجتها بعد الحدوث، وأسلوب الردع والذم للممارسات الخلافية، أو التي تؤدي إلى الخلافات، قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الرجالِ من أُمّتي الذين لا يتناولون على أهلهم، ويحُنُّون عليهم، ولا يظلمونهم»^(١).

كما حذر الإسلام من الطلاق وإنهاء العلاقة الزوجية؛ للآثار السلبية التي يتركها على الزوجين وعلى الأطفال وعلى المجتمع، فالطلاق مصدر للقلق عند الأطفال ومصدر للإضطراب النفسي والعاطفي والسلوكي، حيث إنّ الطفل بحاجة إلى الحب والحنان من كلا الوالدين على حد سواء، بل مجرد التفكير بالطلاق يولد القلق والاضطراب في أعماقه، فيبقى في دوامة من المخاوف

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٦.

والاضطرابات التي تنعكس سلباً على ثباته العاطفي وعلى شخصيته السوية، وقد وضع الإسلام منهجاً في العلاقات الزوجية، فحذر من الطلاق في مواضع مختلفة، فقد قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «ما من شيء مما أحلَّ الله عزَّ وجلَّ أبغض إليه من الطلاق، وإنَّ الله يبغض المطلق الذوّاق»^(١).

(١) الكافي: ٦ / ٥٤.



الحلقة الرابعة

أبرز العوامل التي تزعزع استقرار الأسرة

أبرز العوامل التي تزعزع استقرار الأسرة

كما نعلم أخواتي أنَّ الزواج سكن ومودة لطرفي العلاقة الزوجية، ومن شأن السكن والمودة أن يتصف بالديمومة والمودة والثبات والاستقرار، لكن مع فقدان الوعي وارتفاع نسبة الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية، يبقى ذلك السكن أملاً منشوداً؛ إذ من شأن تلك الضغوط أن تزعزع استقرار الأسرة، وتقتحم عليها ذلك الهدوء، وحينما نتكلم عن المشاكل الزوجية فلا نقصد بعض الاختلافات في وجهات النظر أو حالات عارضة نتيجة ظرف مؤقت أو طارئ، ولكننا نتكلم عن تلك التي تنشأ عن أسباب حقيقية وجوهرية، حتى ولو لم يتم الإفصاح عنها، ومع كونها أصل المشاكل، فإننا حين نتكلم عن أصول المشاكل وجذورها يمكن أن نرجعها إلى أربعة أسباب رئيسة وهي: «سوء الاختيار، عدم التفاهم في القضايا الأساسية، اختلاف النشأة الأولى، عدم فهم الحاجات النفسية والعاطفية».

وبالنسبة لسوء الاختيار، فلقد أكد الإسلام أول ما أكد على حسن اختيار شريك الحياة ورفيق العمر، وعدَّ حسن الاختيار من عوامل تحقيق سلامة الحياة الزوجية، ومن تباشير الوفاق والمودة بين الزوجين، وما ذلك إلا لأنَّ الاختيار خطير، إذ كثيراً ما تطيش الرغبات بمن يقدم على الزواج، وتستبد بهم الشهوات، فتجرفهم في تيارها بسبب جمال فاتن، أو كثرة مال، أو كبر مكانة، لا يكون وراءها حصانة من دين أو خلق، فتكون الحياة الزوجية شراً وناراً

مستطيراً تنفذ جمراته في جوانح الزوجين، ثم ينتقل أثره إلى الذرية إن رزقوا بذرية، فتتصدع أواصر الزوجية وتتقطع روابط الأسرة، وتغرس العداوة، ثم يحصل أبغض الحلال؛ لأنَّ الأساس الذي قام عليه الزواج كان خاطئاً وهذا ما حذرنا ديننا منه، حيث قال الرسول الكريم ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: هي المرأة الحسناء في منبت السوء»^(١).

إذن، الاختيار الصحيح الذي سيجابه الدين والخلق والأصل الكريم، قاصم من قواصم المشاكل الزوجية، لأنَّ الدين وقواعده الربانية هو القاعدة السليمة لحلَّ أيِّ خلاف بعد نشوئه، واجتنابه قبل وقوعه، ولا أمان لمن لا إيمان له، ولا دين لمن لا يحمي دينه، ويمكن القول أنَّ ضعف الوازع الديني في شريك الحياة هو أسُّ البلاء وأساس المشاكل.

وعامل آخر هو عدم الكفاءة، فعدم تكافؤ الزوجين يتبلور من حيث الوعي والتعليم والإمكانيات والمفاهيم التي تعمق الفجوة، وتضاعف مسافات البعد في الرؤية والفهم، وذلك نتيجة للحصيلة الثقافية والتعليمية التي تخلق صوراً مختلفة لتفسير الأمر مما يضاعف من حجم المشكلة ووزنها وأبعادها، ويخلق من المسائل العادية مشاكل كبرى بسبب سوء الفهم، أو عدم القدرة على التقييم السليم، أو النضج في الاستيعاب والتعبير.

وإنَّ عنصر الكفاءة ليس باباً من أبواب الطبقية، ولا نوعاً من أنواع التعالي

(١) وسائل الشيعة: ٢٩ / ١٤.

والاستكبار، وإنَّما هو تنظيم أُريدَ به حماية الأسرة من عدم الرضا بين أفرادها، ومن ضعف التلاحم بين أعضائها، كما أُريدَ به مراعاة حق المرأة في زواج تطمئن إليه وحق الولد في موجّه يثق به، وحق المجتمع في أسرة تمدّه بالحب عن رضا، وبالتكافل عن قوة، ولا شيء وراء ذلك من طبقية أو عنصرية.

أما عامل فارق السن، ففارق السن المناسب يجعل الزواج أكثر استقراراً وثباتاً، بحيث يجعل المرأة تقدر زوجها أكثر وتُنظر إليه نظرة احترام وتقدير؛ لأنَّه الأكبر والأكثر خبرة، وهكذا تسير السفينة بربان واحد وسط أمواج الحياة الهادرة، وينشأ الأطفال في جو طبيعي، وليس معنى ذلك أنَّ الزواج الذي لا يراعي فارق السن محكوم عليه بالفشل، فكثير من الأسر تعيش سعيدة بالرغم من ذلك، ولكن الحديث هنا عن الوضع الأفضل والأمثل؛ لأنَّ صور الزواج التي لم يُراعَ فيها فرق السن تتنافى مع الحكمة التشريعية المرجوة منه، من ناحية الإشباع والإحصان النفسي.

ومن العوامل المهمة الأخرى هو عدم الفهم الصحيح لمعنى الزواج، فهناك فئة من الناس تفهم الزواج على أنَّه استئناس وإنجاب فقط، وأما ما وراء ذلك من مسؤوليات وما تتطلبه الحياة الزوجية من كدح وتعاون وتربية أبناء صلحاء وما تستوجبه من إدراك سليم وحس صادق، ومعاملة حكيمة وتقديس للحق والواجب، والتزام بحدود الله فلا نكاد نهتم به، بل ربَّما لا يخطر على بال بعضنا وقد يحلو لبعض الناس أن يسمي الزواج مؤسسة الزواج، وهي كذلك؛ لأنَّها مؤسسة تحتاج إلى أنواع مختلفة من الإدارة سواء كانت مالية أو

تربوية، ولا بدّ لمن يريد الزواج أن يعدّ العدة لتحمل تلك المسؤولية، ولذلك من يفهم الزواج على أنّه متعة وإنجاب فقط عندما يصطدم بالواقع المخالف تبدأ معه الخلافات والمشاكل؛ لأنّه لم يؤهل نفسه لتحمل تلك المسؤوليات.

كما أنّ عدم التفاهم بين الزوجين في القضايا الأساسية يعدّ من العوامل التي تزعزع استقرار الأسرة، فإنّ مسألة المال والحقوق المالية من المسائل الهامة التي إن لم يتمّ التفاهم عليها بين الزوجين دبّ الخلاف في تلك الأسرة، حيث إنّ المال هو عصب الحياة وعليه تقوم أمور الناس وتتحقق مطالبهم، وغالباً ما تنشأ المشاكل في هذا الموضوع من النفقة وحدودها، وإسراف الزوجة، والذمة المالية للزوجة والنفقة والتقتير فيها.

إنّ نفقة الزوج على زوجته واجبة بالكتاب والسنة والإجماع، حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، ويجب أن يكون المعروف من غير إفراط ولا تفريط، وإنّما استحققت الزوجة هذه النفقة لتمكينها له من الاستمتاع بها، وطاعتها له، والقرار في بيته، وتدير منزله، وحضانة أطفاله، وتربية أولاده، وتبدأ المشاكل عندما تعلم المرأة أنّ زوجها ميسور الحال وله قدرة في التوسعة عليها وعلى أبنائها ومع ذلك تراه يمسك عليها ويقتر على أبنائها، فتبدأ المطالبة والامتناع وتظهر المشاكل، وبمعرفتنا لهذه العوامل نتمكن من تجنبها أو التقليل منها في حياتنا؛ كي نسير بنا مركبة الحياة في الطريق السليم.



الحلقة الخامسة

التلاحم الأسري وأهميته في بناء المجتمع



التلاحم الأسري وأهميته في بناء المجتمع

إنَّ الأسرة إحدى العوامل الأساس في بناء الكيان التربوي وإيجاد عملية التطبيع الاجتماعي، وفي الأسرة أيضاً يتم تشكيل شخصية الطفل واكتسابه العادات التي تبقى ملازمة له طوال حياته، فهي البذرة الأولى في تكوين نمو الفرد وبناء شخصيته، فإنَّ الطفل في أغلب أحواله مقلِّد لأبويه في عاداتهم وسلوكهم، فهي أوضح مقصداً وأقل تنظيمًا وأكثر إحكاماً من سائر العوامل التربوية.

وإنَّ الأسرة مسؤولة عن نشأة أطفالها نشأة سليمة متمسكة بالاتزان والبعد عن الانحراف، وعليها الكثير من الواجبات الملزمة برعايتها ومنها:-

١- أن تشجع في البيت الاستقرار والود والطمأنينة، وأن تبتعد عن جميع ألوان العنف والكرهية والبغض، فإنَّ أغلب الأطفال المنحرفين الذين تعودوا على الإجرام في كبرهم، كان إجرامهم ناشئاً -على الأكثر- من عدم الاستقرار العائلي الذي فئيت به الأسرة.

٢- أن تشرف الأسرة على تربية أولادها، وقد نصَّ علماء الاجتماع على ضرورة ذلك وأكدوا أنَّ الأسرة مسؤولة عن عمليات التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها في صورة توهله فيما بعد لمزيد من الاكتساب، وتمكنه من المشاركة التفاعلية مع غيره من أعضاء المجتمع.

٣- كما أكد علماء التربية على أهمية تعاهد الآباء لأبنائهم للعطف والحنان

والحذب عليهم والرفقة بهم حفظاً وصيانة لهم من الكآبة والقلق، وإنَّ أفضل طريقة لحفظ الأبناء هي مصاحبتهم ومراقبتهم، ويرى المربون أنَّ أفضل ميراث يتركه الأب لابنه هو بضع دقائق من وقته كل يوم، ومن وظائف الأسرة المهمة هي:-

١- أن تنتج الأطفال وتمدِّهم بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، فوظيفة الأسرة لا تقتصر على إنتاج الأطفال؛ لأنَّ هذا الاختصار يمحو الفوارق الطبيعية بين الإنسان والحيوان.

٢- أن تعدِّهم للمشاركة في حياة المجتمع، والتعرف على قيمه وعاداته، وأن تمدِّهم بالوسائل التي تهيئ لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع.

٣- توفير الاستقرار والحماية والأمن والحنو على الأطفال مدة طفولتهم، فإنَّها أقدر الهيئات في المجتمع على القيام بذلك، ولا تستطيع مؤسسة عامة أن تسد مسد الأسرة في هذه الشؤون.

٤- وعلى الأسرة أيضاً أن تقطع جزءاً كبيراً من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة.

أما الإسلام فقد أقام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وتتفق مع حاجات الناس، وعدَّ الغريزة العائلية من الغرائز الذاتية التي منحها الله للإنسان، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً^(١)، فهذه الظاهرة التي فطر الله عليها الإنسان منذ تكوينه من آيات الله ومن نعمه الكبرى على عباده.

والإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة طيبة تتوفر بها عناصر القيادة الرشيدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢).

وأهم قاعدة من قواعد التربية أن توجد عملياتها التربوية القدوة الحسنة والمثل الأعلى للخير والصلاح، وعلى آية حال، فإنَّ نظام الأسرة الذي سنَّه الإسلام يقوم على أساس من الوعي والعمق لما تسعد به الأسرة، ويؤدي إلى تماسكها وترابطها من الناحية الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية بحيث ينعم كل فرد منها ويمجد من ظلالها الرأفة والحنان والدعة والاستقرار، ويحرص الإسلام كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية -التي هي النواة الأولى للأسرة- على المحبة والتفاهم والانسجام وهو الزواج المثالي، أما إذا منيت الأسرة بعدم الانسجام والاضطراب، فإنَّ أفرادها يصابون بآلام نفسية واضطرابات عصبية.

وإذا ألقينا نظرة على مشكلة الأسرة في العصور الحديثة نجد أنَّها مشكلة خطيرة جداً، فقد فقدت نتيجة التغيرات الاجتماعية كثيراً من وظائفها التي

(١) الروم: ٢١.

(٢) الفرقان: ٧٤.

كانت تقوم بها من ذي قبل، فأدى ذلك إلى انفصام عرى الأسرة وانهيار الروابط التي كانت تربطها فيما قبل.

يقول بعض المربين: «إنَّ من مخاطر المجتمع الحديث هو الدور الطبيعي الذي كانت تقوم به الأسرة يتضاءل؛ نتيجة لاستيلاء المؤسسات الأخرى على كثير من مسؤولياتها، وتخشى نتيجة التضائل أن تفقد الأسر الأثر الفعال الذي هو من أهم قوى الاستقرار في المجتمع».

وفي النهاية قد تراجعت بعض البلدان عن كثير من مقرراتها؛ لأنَّها اصطدمت بالواقع الذي يعيشه الناس في جميع مراحل تأريخهم من أنَّ الأسرة نظام مستقر ثابت لا غنى للبشرية عنه.



الحلقة السادسة

المرأة المسلمة بين التغيير الاجتماعي

وحماية الأسرة



المرأة المسلمة بين التغير الاجتماعي وحماية الأسرة

تعد الأسرة أهم بيئة في تشكيل شخصية الإنسان وتكوينه النفسي والسلوكي الذي سترك آثاره في مجتمعه الذي يعيش فيه، وقد أجمع علماء الاجتماع على تباين مذاهبهم على أنَّ الأسرة عماد المجتمع، وأنها إذا قامت على أسس سليمة استقرت أحوال المجتمع وتوطدت أركانه، وإذا وهنت قواعد الأسرة ولم يتحقق لها أسباب القوة على اختلافها اضطربت حياة المجتمع واختلَّ توازنه، وإنَّ الأسرة هي الخلية الأولى التي يتألف منها جسم المجتمع وبصلاحها يصلح هذا المجتمع وبفسادها يدب إليه السقم والانحلال.

أهمية المرأة في الأسرة:

للمرأة دور مهم في بناء المجتمع من خلال دورها التربوي في داخل الأسرة؛ فهي العنصر المؤثر داخل الأسرة كما يرى بعضهم، بينما يرى آخرون أنَّ الأب هو العنصر المؤثر في داخل البيت، ويتصور غيرهما أنَّ البيت هو عنصر التربية الأوحد بكل تفاعلاته، ولكن مع ذلك فإنَّ هناك عوامل أخرى مؤثرة في التربية خارج إطار البيت، فالمجتمع والمدرسة والإعلام، كل ذلك له دور مهم في التربية، إلا أنَّ العلماء المختصين في مجال التربية أكدوا على أنَّ البيت هو المؤثر الأول وهو الأقوى في التأثير على الطفل بحكم التصاق الطفل به، وقضائه أطول مدة من طفولته في داخله، وبحكم أنَّه أول من يتسلَّم خامة الطفل ويؤثر في تشكيلها، وعندما تقوم الأسرة فإنَّ الزوجة والأم هي العضو

الأساس فيها، إنَّ للمرأة في هذه المجموعة مكاناً أساسياً وسامياً، لذلك عندما يتزلزل أصل الأسرة «المرأة» فلن يبقى أي شيء في مكانه فيها.

إنَّ الموازنة المطلوبة من المرأة المسلمة موازنة بين طرفين متقابلين ومتباعدين، ولكن حقيقة الحال على خلاف هذا التصور، فمسؤولية المرأة تجاه مجتمعها ومسؤوليتها تجاه أسرتها مسؤولية واحدة بطبيعتها، وإن اختلفت في قسمها الأول بسعة محيط المسؤولية عن الثاني الذي يتميز بمحدودية المحيط وضيقه، فكما هي مسؤولية عن حماية مجتمعها هي أيضاً مسؤولية عن حماية أسرتها، إذن القضية في تحديد الأولويات لمسؤوليات متعددة مطلوب من المرأة المسلمة أن تؤديها قربة إلى الله تعالى في مقابل وقت محدود قد يصعب تقسيمه بين هذه المسؤوليات الكثيرة بشكل سليم ومستوعب، بحيث تعطي لكل ذي حقَّ حقه، ولكن هل هناك مسطرة قياس بوحدات محددة متجانسة المواقف والخطوات، بحيث تستطيع كل امرأة مسلمة أن تستعملها في التنسيق بين مسؤولياتها وتنظيم جهدها؟ طبعاً لا، فالظروف الاجتماعية للنساء مختلفة وكذلك مواهبهن الذاتية والكامنة وقابلياتهن متباينة، والمتعين على المرأة المسلمة هو ما يحدّد بعنوان تحقيق الرشد الاجتماعي في إدارة مسؤولياتها المتزاخمة، بحيث تنجزها جميعاً بوجه الإتيان والإتمام، وعلى المرأة المسلمة أن تتعلم كيف تكون راشدة في النهوض بمسؤولياتها الاجتماعية والفكرية والتربوية داخل أسرتها الصغيرة وخارجها في الأسرة الكبيرة أي في مجتمعها الإسلامي الكبير، وهي لذلك تحتاج العناصر الآتية:-

١- عليها أن تعرف إمكاناتها الذاتية ومواهبها الكامنة والتي هي بصدد المحافظة عليها واستثمارها في وظيفتها الأسرية الإسلامية الكبيرة.

٢- عليها أن تحدد الأماكن المتاحة لها من حيث الظروف المحيطة بها، فالمرأة المسلمة -مثلاً- غير المتزوجة، الإمكانية المتاحة لها للتحرك في محيط المجتمع أوسع من المتزوجة، كذلك إمكانات التي لم ترزق بأطفال فإنَّ الإمكانية المتاحة لها للتحرك الاجتماعي أوسع من ذات الأطفال وهكذا، وأيضاً حصر المسؤوليات المتعينة عليها، كمسؤولية إدارة الأعمال المنزلية، والمسؤولية الزوجية، ومسؤوليات الأمومة التربوية، وكذلك مسؤوليات الدعوة إلى الله والتغيير الاجتماعي وغيرها.

٣- وعلى المرأة المسلمة المتصدية للتغيير داخل بيتها وخارجه أن تعلم أنَّ بلوغ النتائج ليس بكثرة ما ينجز، بل بخلق الكفاءة والقدرة لديها، والاستفادة بأقل قدر من الوقت متاح في أهم الأعمال المتناسبة مع ظروفها وإمكاناتها، فإنَّ تمام الرشد في العمل الاجتماعي أن تكون المرأة الداعية جزءاً من مجموعة متكاملة في إنتاج مسؤولية اجتماعية كاملة بحيث تصب جهودها الجزئية ضمن عمل جماعي وفي موضعه الصحيح المثمر، وإن قلَّ فالعبرة بالكيف لا بالكم وبنظم الأمور لا بتبعثرها.



الحلقة السابعة

المقومات الصحيّة الاجتماعية للأسرة



المقومات الصحيّة الاجتماعيّة للأسرة

إنَّ الأسرة تعدُّ الأداة الطبيعيّة التي تحقّق إنجاب النسل واستمرار حياة المجتمع، وهي الوسيلة التي تنتقل من خلالها الخصائص الوراثية من جيل لآخر ولا جدال في أنَّ سلامة الأبوين الصحيّة تؤدي إلى نسل سليم.

وحتى تتحقّق سلامة النسل، فإنّه لا بدّ من تنظيمه بحيث تكون عملية الإنجاب على مدة متباعدة؛ لتضمن كون الأم في حالة صحيّة ونفسية ملائمة لاستقبال الطفل الجديد، ومن جهة أخرى تضمن قدرة الأسرة على إشباع حاجات الطفل المختلفة.

ومن المسلّم به أنَّ الشخص عندما يتعرض للمرض - وهو الحالة التي يعجز فيها الفرد عن القيام ببعض النشاطات والوظائف التي يباشرها الأسوياء أو كلها أو ترتبط عند القيام بها بالألم أو الضيق، فإنَّ العلة لا تنزل في جانب من الشخص، بل تشملها بأكمله أي إنّها تؤثر في مجرى الحياة الأسرية تأثيراً بالغاً من جميع النواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والنفسية، فعندما يتعرض أحد أفراد الأسرة للمرض ستؤثر حالته في أعضاء الأسرة كافة دون تمييز أو استثناء، وبالتالي يضطرب نظام الحياة اليوميّة للأسرة، كما يفرض المرض على عاتق الأعضاء الأصحاء أعباءً ومسؤوليات إضافية.

أما المقومات الاجتماعيّة، فإنَّ الحياة الأسرية تقوم على التكيف المتبادل بين الأدوار الزوجية من ناحية العواطف الودّيّة والصدقة والديمقراطية أو

المشاركة في السلطة وتقسيم العمل، وعندما يتحول الزوجان نحو الأبوة، تبدأ المسؤوليات المشتركة تجاه الأبناء وتسمو كل العلاقات التي كانت قائمة من قبل في علاقة الزوجين، فالأسرة توصف في بعض الأحيان بأنها «كائن عضوي»، وهذا المعنى يحمل للوهلة الأولى المعنى البايولوجي للأسرة، كما تنسب هذه العبارة للأسرة خصائص عملية الحياة والوحدة الوظيفية، وهذا يعني كذلك أن للأسرة تاريخاً طبيعياً لحياتها الخاصة يبدأ بعملية الإخصاب والتوالد والنمو والنضج والقدرة على التوافق أو التكيف ثم ذوبان الأسرة في القلب الجديد.

وأما الأم فإنها تعد الشخص الأول في حياة الطفل، وكلما كان الطفل صغيراً طالت مدة الاعتماد الإجباري على رعاية الأم، فعلاقة الأم بالطفل هي علاقة متبادلة يؤثر فيها سلوك الطفل في الأم، وفي بعض مواقف الأسرة قد تجد الأم سروراً كبيراً تشتقه من وجودها إلى جانب الطفل وتبدي إظهار حبها له بوسائل شتى أبرزها العناية والاهتمام به، ومن المظاهر المألوفة في بعض الأسر ما نلاحظه من انعكاس الأدوار بين الجنسين، فتقوم المرأة باتخاذ القرارات والسيطرة بينما يقف الأب موقف المتابع حتى يتجنب الجدل أو المشاجرة، كما تقوم الأم أحياناً بدفع الأب وحته على القيام بكثير من الواجبات التي تعد من صميم واجباتها، وهنا يجب ملاحظة أن واجبات الأب والأم مسألة ثقافية متغيرة، وما نود الإشارة إليه هنا هو تبادل الأدوار وليس المشاركة في الواجبات المنزلية والأسرية.

والمجتمع الحديث في اعتقادنا يميل إلى الخلط بين وظائف الأبوين لا من

الناحية التكوينية الجسدية فحسب، بل وحتى في جوانب الحياة الاجتماعية والمهنية، فلكي ينطبق على المرأة مفهوم الأمومة ينبغي أن تدرك طبيعتها وأن لا تأخذ صورة مشوهة عن اختلاف تكوينها الجسمي عن الرجل.

وهناك مجموعة كبيرة من المؤثرات تؤثر في تشكيل شخصية الرجل للقيام بدوره كأب، ولعل من أهم هذه المؤثرات:-

١- أثر الثقافة في صقل مفهوم الأبوة لدى الرجل ودوافع الرجل نحو الزواج والإنجاب.

٢- علاقة الأب بالطفل وأيضاً علاقة الأب والأم كزوجين ثم كأبوين، وتكامل شخصية الرجل وتفاعله مع أبنائه.

٣- وأخيراً استجابات الأب الانفعالية نحو نجاحه أو فشله في القيام بدوره كأب.

وفي حياتنا الحاضرة بعض النماذج من الرجال الذين يتظاهرون بالأبوة المثالية ويعبرون عن اهتمامهم الزائد بالطفل؛ نتيجة رغبتهم الملحة في الظهور بمظهر الآباء الصالحين في أعين الآخرين.

وفي اعتقاد العلماء إنَّ هذا النوع من الرجال لا يحمل من الأبوة إلا الاسم، إذ يفقد إشباعات الأبوة الإيجابية، فهو لا يهتم بالعلاقات الأبوية مع الطفل بقدر اهتمامه بالحصول على مكانة اجتماعية عالية، وبذلك يتخذ من أطفاله وسيلة لبلوغ الأهداف الشخصية ويستغلهم لتحقيق أغراضه الخاصة دون



الالتفات إلى الحاجات النفسية أو الجسمية لهم، وينطبق هذا على بعض النساء أيضاً.

وهناك نوع آخر من الرجال يعبر عما يتنبه من قلق واضطراب بالإقبال على العمل الخارجي؛ للحصول على التقدير والمكانة الاجتماعية أو المهنية، فيهمل أطفاله وينظر إلى شؤونهم على أنها أمور من اختصاصات الأم فيكرس حياته لتحقيق النجاح والتقدم في العالم الخارجي، بينما تركز المرأة كامل وقتها وجهدها لرعاية شؤون الأسرة والبيت، وفي هذا النمط لا تتحقق سوى مساواة ضئيلة ومشاركة عابرة في العلاقات بين الزوجين.



الحلقة الثامنة

تقوية الروابط بين أفراد الأسرة

تقوية الروابط بين أفراد الأسرة

إنَّ هناك بعض التقاليد التي تقوي الأواصر والروابط بين أفراد العائلة، وهذا ما يشير إليه العلماء في الشؤون الاجتماعية ومنها على سبيل المثال اجتماع أفراد الأسرة في مكان واحد على طاولة الطعام مثلاً، حيث يبقى لتقليد جلوس العائلة مجتمعة إلى مائدة الطعام نكهته الخاصة، ولعل هذا المشهد أصبح تقليداً أسبوعياً أكثر منه عادة يومية، حيث لم يعد لبعض الأمهات العاملات الوقت والطاقة لتحضير وجبة عائلية والجلوس معاً إلى مائدة الطعام، وفي بعض الأحيان قد يقرر كل أفراد العائلة طلب وجبة جاهزة.

ويرى الاختصاصيون أنَّ جلوس العائلة مجتمعة إلى مائدة الطعام يجب أن يكون من أولويات الحياة العائلية؛ نظراً إلى ما له من فوائد على صعيدي الصحة الجسدية والنفسية على الأبناء، فإنَّ جلوس العائلة إلى مائدة الطعام له دور في الحصول على نظام غذائي صحي وله أثر إيجابي كبير في توازن غذاء الطفل وسلوكه، مما يعني أثراً إيجابياً في وزنه، فقد أظهرت الدراسات أنَّ أكثر من ١٦٪ من الأطفال يعانون من مشكلة الوزن الزائد، وأعزيت الأسباب إلى الأكل بين الوجبات، ونقص في النشاطات البدنية، وكذلك إلى غياب تناول الطعام الصحي الذي يتبع الهرم الغذائي، فالمائدة العائلية تسمح للطفل والمراهق بالحصول على غذاء صحي ومتنوع إذ يرافق تناول الطعام ضمن العائلة تناول كميات كبيرة من الفواكه والخضر ومشتقات الألبان،

واستهلاك أقل للمقالي والسكريات والمشروبات الغازية، ويكاد طقس جلوس العائلة مجتمعة إلى مائدة الغداء أو العشاء يتعدى كونه يوفر نظاماً غذائياً صحياً يضمن سلوكاً غذائياً طبيعياً، فتناول الطعام ضمن إطار العائلة والتخلق حول مائدة الطعام يعني تبادل الأحاديث ويشير إلى أن أفراد العائلة يحتاجون إلى بعضهم، فعندما مجرد تناول الطعام من معانيه الرمزية والعائلية، فإن الإنسان يخضع لاضطرابات غذائية، يزيد خطورتها الشعور بالوحدة وغياب المرجع في العائلة، فالوجبة العائلية بمعنى التكوين النفسي تُطمئن المراهق والطفل، إذ أن لقاء الوالدين حول طاولة الطعام يترك انطباعاً جيداً عندهم بأن والديهم حاضران وأنهما مرجع لهم وإن كانا لا يمضيان الكثير من الوقت معهم.

كما أن الجلوس مع الوالدين إلى مائدة الطعام يعلم الأبناء آداب السلوك، مثلاً الإنصات إلى الآخر أثناء تحدّثه وتناول الطعام بشكل لائق، وهذا التقليد العائلي له أثر إيجابي في تطور اللغة عند الطفل، فخلال الجلوس على المائدة يتواصل ويعبر ويروي أموراً حدثت معه، ومن الضروري أيضاً أن يشارك الطفل في تحضير وجبة الطعام مما يعزز الشعور بوحدة العائلة وتماسكها، فالجلوس إلى المائدة العائلية يرمز إلى أكثر من ملء المعدة، وهو يتيح المجال للحوار وملء الفراغ العاطفي، فكثيراً ما يبعث الأبناء أثناء الجلوس إلى مائدة الطعام مع ذويهم برسائل مبطنة، وإن كانت تظهر على شكل مزاح أو طرفة، وبذلك يكون له دور ممتاز في تربية الأبناء، كما ويعزز الإحساس بالثقة والانتماء بينهم.

إذن، الذي يمكن عمله لتحسين نوعية الوقت الذي تقضيه الأسرة على الطعام هو ما يأتي:-

١- علينا أن ندرك أهمية الوقت الذي نقضيه مع أفراد الأسرة الآخرين أثناء تناول الطعام، بإمكاننا أن نحضّر لهذا اللقاء سلفاً، وأن ندخل تعديلات على المكان والزمان؛ ليتفق مع ظروف كل أفراد الأسرة.

٢- علينا أن نغلق جهاز التلفاز أثناء تناول الطعام، وإذا لم يكن هذا ممكناً بشكل كامل في بدء الأمر، فإنّ بإمكاننا أن نحققه بالتدريج.

٣- وليكن الطعام مناسباً لجميع أفراد الأسرة، وليأكل الأطفال من نفس الطعام الذي يأكل منه الكبار، وإذا كان الأطفال غير جائعين أثناء الوجبة فهذا يعني أنّ على الأم أن تنظم طعامهم وتقلل من الوجبات التي يتناولونها بين الوجبات الرئيسية.

٤- ولتكن الموضوعات التي يتناولها الحديث موضوعات لطيفة وشيقة، ولنركز على الجانب الإيجابي من الأشياء، فبإمكاننا أن نسأل أحد الأطفال ليحدثنا عن أحسن شيء حدث له هذا اليوم، ويجب أن يشعر الطفل المتحدث بأنّه يلقي الاحترام اللازم، فالوقت الذي نقضيه على الطعام ليس وقتاً للنقد والتوبيخ وتصحيح السلوك.

٥- لنشرك الأطفال في الإعداد والتخطيط وفي تقديم الطعام، فهذا من شأنه أن يخلق جواً من التعاون ومن روح الفريق.

٦- وأخيراً لنعلم الأطفال بالمثال وليس بالتوجيه المباشر، وإذا جعلنا من الوجبات مناسبة مريحة وممتعة، فإنَّ الأطفال سيكونون أكثر صحة وأكثر تهذيباً وأكثر قدرة على التكيف والتعلم.



الحلقة التاسعة

الطفولة والمراهقة ودور الأسرة والمجتمع

الطفولة والمراهقة ودور الأسرة والمجتمع

مما لا شك فيه أنَّ مرحلة الطفولة والمراهقة من أهم المراحل في حياة الإنسان ليس من الناحية الصحية والتعليمية فحسب، بل من ناحية التكوين النفسي، وتعد هذه المرحلة هي ركيزة مباشرة في ترسيخ الأفكار والعادات والسلوكيات التي يتأثر بها الطفل في بيئته سواء أكانت من الأسرة والمدرسة أم من خارج هذا النطاق والتي تساهم في تشكيل شخصيته إلى أن يصل لسنّ البلوغ والمراهقة، فالتقدم والتطور الحضاري أثر بطبيعة الحال على الأطفال، حيث أوجد لديهم حالة بعدم التكيف والاستقرار النفسي، وهذا ما نلاحظه في الكثير من الأسر التي نجد أنَّها تعاني من عدم تمكنها فهم أبنائها وكيفية توجيههم مع متطلبات المحيط الذي يعيشون فيه.

إنَّ الأسرة المترابطة التي توفر جوّاً آمناً من الحب والرعاية، والتي تراعي القيم الإيجابية وتبعد الطفل عن العادات والقيم السلبية، وتشجعه على استغلال مواهبه وقدراته وتعوّده على التعاون والمشاركة في جوٍّ من المحبة والألفة، كل هذا يكوّن النواة الأولى للرعاية النفسية للطفل، والمدرسة كذلك تكون استمراراً يكمل مسيرة الأسرة، كما وتنمي المدرسة في الطفل الثقة بالنفس والثقة بالآخرين، وتبث فيه روح التعاون والمشاركة وإيثار المصلحة العامة ويجد فيها الفرصة لتأكيد ذاته في جو تربوي سليم يساعده على اكتمال شخصيته ويكسبها المناعة اللازمة للتأقلم مع متغيرات الحياة مستقبلاً.

هناك مشاكل نفسية يتعرض لها الطفل في هذه المرحلة، وعلينا معرفة أسباب هذه المشاكل، كما علينا أن نضعها دائماً في دائرة الاهتمام لإنشاء الطفل السليم المعافى من أي ظواهر نفسية، ويجب أن نعلم أن هناك مصدراً للمشاكل النفسية المتعلقة بالأب والأم، أي بمعنى أن هناك أسباباً مصدرها الأم وأسباباً مصدرها الأب وأسباباً مصدرها الطفل نفسه، وتعود الأسباب التي مصدرها الوالدان إلى المعاملة القاسية للطفل والعقاب الجسدي والإهانة والتأنيب والتي تؤدي إلى توقف نمو ثقته بنفسه، فيملأه الخوف والتردد في أي شيء يريد القيام به ويصبح عرضةً للمعاناة النفسية والخلافات العائلية التي تجبره على أن يأخذ جانباً إما في صف الأم أو الأب مما يدخله في صراع نفسي.

وهناك مسألة التدليل والاهتمام بالطفل الجديد، فمجيء الوليد الجديد يعد صدمة قوية قد ينهار بسببها كثير من الأطفال، فهنا ينشأ لديه التضايق إلى درجة الحزن وإحساس الطفل بالكراهية من قبل الأب والأم سواء كانت معلنة أم خفية، كذلك الطلاق بين الوالدين حيث وجد أن نسبة ٦٠٪ من المطلقين لديهم أطفال تحت سن الخمس سنوات يعانون من اضطرابات نفسية. وأما عن الأسباب التي يكون منشؤها الأم والتي تبدأ من الأم المسيطرة، والتي تلغي تماماً شخصية الأب في البيت، مما يجعل رمز الأب عند الطفل يهتز وكذلك إهمال تربية الطفل وتركه للمربية، أو انشغال الأم الدائم بأمورها الشخصية، وخروجها المتواصل من البيت، وترك الطفل، وتخوفه من أشياء وهمية كالحیوانات المخيفة من خلال الحكايات التي تحكى له مما يترك أثراً سيئاً

على نفسيته، وتأتي الأسباب التي يكون مصدرها الأب والتي تلعب الدور الكبير؛ وذلك بسيطرته القمعية في المنزل، وإلغاء شخصية الأم ودورها، أو انشغاله الدائم بعمله وعدم تخصيص وقت كافٍ للجلوس مع أطفاله والاهتمام بهم، مما يجعل الطفل يفتقده كمثل أعلى وكمعلم وقدوة.

هذه الأسباب يخلقها الوالدان وتؤثر على الطفل، إلا أن هناك أسباباً تكون موجودة عند الطفل نفسه، قد تكون سبباً في مشاكله النفسية كتواضع قدراته الذكائية مقارنة بزملائه في الفصل، مما يجعله يشعر بالنقص والخجل، وخاصة إذا تعرض إلى ضغط زائد من مدرسته أو إذا كانت لديه عاهة تعرضه لسخرية بقية الأطفال كشلل الأطفال أو ضعف السمع أو أي تشوه خلقي في جسده.

وقد يصاب الطفل للأسباب العديدة التي سبق الحديث عنها بالاضطرابات العاطفية كالقلق والخجل والميل للبكاء والحزن، وقد تظهر على شكل أعراض جسمية كالاستفراغ، واضطرابات النوم وفقدان الشهية، والسمنة وتناقص أداء الطفل في المدرسة، والاكتئاب النفسي الذي يظهر بالاضطراب في السلوك والخوف.

كما أن من الممكن أن يصاب بأمراض شخصية كالشخصية التجنبية والشخصية المعارضة التي تتسم بالعصيان، والتمرد، والعناد، وإثارة الآخرين، والتخريب، وإشعال الحرائق، والسرقة، والكذب، والهروب من المدرسة، وكذلك ظهور بعض العادات غير المستحبة كمص الأصابع وقضم الأظافر،



إضافة لمشاكل النوم بأنواعها كالتبول الليلي واضطرابات الكلام والتأتأة.

هذه المشاكل أهم ما يتعرض له الطفل في هذه المرحلة التكوينية من عمره، والتي تؤثر على شخصيته المستقبلية إن لم تعالج بالشكل الصحيح والمنطقي، والتي يعود لدور الأهل القدر الأكبر فيها وما يوفره الأبوان من بيئة أُسرية طبيعية ملائمة خالية من التعقيدات والسلبيات وتأمين المناخات المناسبة؛ لتكوين شخصيته السوية والمقومة.



الحلقة العاشرة

المقومات الاقتصادية للأسرة

المقومات الاقتصادية للأسرة

لقد حاول الكثير من رجال الاقتصاد ورجال الاجتماع الاستعانة بدراسات متعددة؛ للتأكيد على أنَّ الأسباب الرئيسة والأولية للانحرافات الاجتماعية تنبع من العوامل والقوى الاقتصادية في المجتمع.

ومن خلال هذه الدراسات تم الإجماع على أنَّ معظم المجتمعات الحديثة تقوم حول أيولوجية اقتصادية أساسية، وأنَّ تفسير المشكلات الاجتماعية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفشل النظم التكنولوجية والاقتصادية في القيام بوظائفها، والعجز عن ضبط النشاط الاقتصادي وتوفير السلع والخدمات الكافية لكل فرد من أفراد المجتمع.

ولقد ظهرت مجموعة من التفسيرات الاقتصادية المطلقة للإصابة بالأمراض العقلية والنفسية وغيرها من المشكلات الاجتماعية، وقد أسهمت هذه الدراسات بنتائج إيجابية أكدت على أنَّه إذا تم التخلص من البطالة، وإزالة الفقر، والسيطرة على التقدم الآلي بصورة ملائمة، وتوفير المسكن الصحي لكل أسرة، فسوف تدخل الإنسانية في العصر الاجتماعي السعيد الذي يخلو فيه المجتمع من كل المشكلات الاجتماعية.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ الفقر هو الحالة التي لا يكفي فيها دخل الأسرة لإشباع حاجاتها الأساسية المتغيرة للمحافظة على بنائها المادي والنفسي والاجتماعي، وله آثار سلبية خطيرة على الجوانب الصحية والثقافية من حيث نوع الثقافة

السائدة في حياة الأسرة ومدى توفر فرص التعليم.

والفقر قبل كل شيء هو الذي يحرم الأسرة من المشاركة الاجتماعية في جميع المجالات الحياتية، سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية.

إنَّ تأثير الفقر ليس منفصلاً عن بقية العوامل النفسية والاجتماعية؛ إذ أنَّه يؤثر ويتأثر بمستوى الطموح لدى الأسرة، وبالوضع الطبقي والثقافة السائدة في المجتمع، كما يؤثر تأثيراً ملحوظاً في عملية الاتزان النفسي وفي علاقة الفرد بالأسرة والبيئة المحيطة به.

فلقد أثبتت مجموعة من الدراسات أنَّ الفقر أحد الأسباب الرئيسة لجميع أنواع الانحرافات الاجتماعية بمختلف أشكالها وأنواعها، وأنَّ الفقر يؤثر بصورة ظاهرة على الفرد مما يجعل بعض المجتمعات لا تكثر لحالة هذا الفرد، إلاَّ أنَّه في حقيقته يحمل بالغ الأثر على المجتمع.

وأما عن ميزانية الأسرة، فتتمثل ميزانية الأسرة في أبسط صورها في قيام الأسرة بتقدير الدخل الذي تحصل عليه ومحاولة توزيعه بين أوجه الإنفاق أو بين السلع والخدمات التي يتضمنها الاستهلاك بصورة تحقق أقصى منفعة ممكنة وبأقل نفقة ممكنة.

ولكن الأسرة كثيراً ما تقع في مشكلات مادية لا ترجع إلى عدم كفاية الدخل أو عدم تناسبه مع مطالب الأسرة، بل ترجع إلى أنَّ الأسرة تعتمد إلى زيادة نفقاتها فوق حدود مواردها، وتتحدى قلة الدخل النسبي بأساليب

سلبية كالاقتراض مثلاً بدلاً من الإنفاق في حدود الدخل أو العمل على زيادة إنتاجها واستغلال الطاقات المعطلة فيها ويستثنى من ذلك الفئات العاجزة عن تدبير الحد الأدنى الضروري للمعيشة، وعندما تفشل الأسرة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي يؤدي بها الموقف إلى نوع من الصراع يقوم بين أعضائها من جانب وبين البيئة الخارجية من جانب آخر، وهذا الصراع يولد أربعة أنواع من التصرفات هي:-

١- العدوان:- وهو في جوهره يعبر عن حاجة الأسرة إلى القيام بفعل معين في ظروف غير ملائمة، ويستهدف هذا السلوك مقاومة هذه الظروف وتجنبها أو محاولة قهرها والتغلب عليها، ومن مظاهر وجود الاتجاهات العدوانية في الأسرة إزدياد الشجار والخلافات بين أفرادها أو النقد المتطرف لرب الأسرة أو ازدياد الاحتكاك بين الأسرة وجيرانها، أو ترديد الشكوى المستمرة.

٢- النكوص:- وهو اللجوء إلى حل المشكلات بطرق سلبية تزيد من إغراق الأسرة في المشاكل طويلة الأمد، ومن أهم مظاهر هذا السلوك الاعتماد على الاقتراض والإسراف في المطالب دون تقدير لموارد الدخل، أو الاعتماد على الأقارب والجيران والشعور بالغيرة الشديدة والحسد للأسر التي تتمتع ببعض المزايا الاقتصادية.

٣- الجمود:- وهو استمرار الأسرة في اتباع نوع معين من التصرفات وأسلوب المعيشة وعدم القدرة على إيجاد حلول إيجابية للمشكلة وفي الوقت

نفسه عدم التخلي عن العادات والتقاليد التي تدعو إلى الإسراف والاهتمام ببعض المظاهر الاجتماعية لتقليد الآخرين.

٤- القنوط:- وهو الإحساس الذي يراود أفراد الأسرة بعد مرور مدة من الزمن على المشكلات الاقتصادية دون حل أو تحسين، ويتحول هذا الإحساس تدريجياً إلى حالة من الكراهية تنصبُّ على الأسرة ذاتها وتزعزع ثقة الأسرة بنفسها فتنتهي إلى الانطواء أو في بعض الأحيان إلى التفكك الأسري.

أما عن الأزمات الاقتصادية والأسرة، فمن بين الدراسات التي أُجريت في هذا المجال دراسة تناولت أثر تدهور الدخل بصورة فادحة خلال أوقات الكساد أو في حالة البطالة على العلاقات الأسرية، وقد تبين أنَّ قدرة الأسرة على القيام بالتوافق الضروري دون حدوث أضرار للعلاقات الشخصية المتبادلة يتوقف على درجة ارتباط أعضاء الأسرة بمستوى معين للمعيشة، فإذا تأثرت بعض المستويات المادية التي تعدّها الأسرة ذات أهمية في حياتها كانت النتيجة تدهور العلاقات الأسرية وتفكك الروابط التي تربط أعضاء الأسرة ببعضهم الآخر.



الحلقة الحادية عشرة

الأسرة المسلمة والتحوّلات الحضارية الجديدة



الأسرة المسلمة والتحوّلات الحضارية الجديدة

إنَّ الأسرة بحكم تكوينها ووظيفتها عرضة للتقلبات والصراعات الخطيرة التي تحدث في المجتمع، فالحروب مثلاً، تُحدث اضطرابات وهزات عنيفة في العلاقات الاجتماعية والقيم الإنسانية في الأسرة، وبذلك تنعكس الأحداث الخارجية على العلاقات الداخلية للأسرة، بل إنَّ ذلك يتعدى إلى تركيبها العامة ووظائفها الاجتماعية؛ ولهذا يصعب فصل الأسرة كمؤسسة اجتماعية، ورصد مساراتها المستقبلية دون الأخذ بنظر الاعتبار النظم الاجتماعية الأخرى، فالأسرة ذات ارتباط وظيفي ببقية مؤسسات المجتمع؛ لأنَّها خلية اجتماعية لها وظائف ذاتية خاصة بها، ووظائف أخرى ضمن إطار المنظومة الاجتماعية، وبذلك تكون هذه الخلية مؤثرة في سير المجتمع من ناحية، وتتلقى التأثير من نواحي أخرى، تبرز في مقدمتها العوامل الثقافية والاقتصادية، والتغير في الأسرة ليس عملية ذات أبعاد قصيرة، وإنَّما هي مرتبطة بتغيرات سياسية وعقائدية واقتصادية كبرى تعكس واقعها على الأسرة، تركيباً ووظيفة، ولهذا فإنَّ المدى الزمني لتوقعات مستقبل الأسرة يجب أن يمتد إلى عدة أجيال قادمة لنرى صحة بعض التوقعات المستقبلية كما تُرصد في الحاضر، وتعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية؛ نظراً لعلاقتها الوثيقة بالفرد والمجتمع، والتي تتجسّد في الوظائف الجوهرية التي تقدمها للمجتمع الكبير من خلال قيامها برعاية الفرد، والسهر على تلبية ما يحتاج إليه من خدمات وعناية وإشراف، وكما لا يخفى فإنَّ التطلع إلى بناء الإنسان المسلم المعاصر يتطلب المحافظة على

أصالة ذلك الإنسان، وهذا يأتي من خلال الأسرة؛ فهي الوحدة الأساس في تثبيت السمات الجوهرية للمؤسسات البنيوية المادية وغير المادية التي تتعامل مع الإنسان وتتفاعل مع معطيات حياته، وهذا يعني أنَّ مساهمة الأسرة في عملية البناء الحضاري في المجتمعات الإسلامية المعاصرة مساهمة لها وزنها الكبير ودورها الخطير، فلها الأهمية الكبرى في غرس القيم الإسلامية وتحديد نماذج الاقتداء والالتزام بالمبادئ، وممارسة الابداع الذهني في أجواء من السكينة والاطمئنان المادي والمعنوي، وتبرز أهمية الأسرة في البناء الحضاري والمساهمة في تحقيق مستلزمات الإسلام ومقتضيات العصر من كون الأسرة هي القناة الأولى التي يتلقى منها الفرد المفاهيم الإسلامية والقيم الدينية، في عملية تفاعل صادق نحو تشكيل الشخصية النموذجية وتكوينها عن الإنسان، والتي تعبر عن شخصية المجتمع الكلي وأخلاقه، ولكن عملية تنشئة الفرد لم تعد مسؤولية الأسرة لوحدها في هذا العصر، ولكنها أصبحت حاصل جميع المؤثرات والمثيرات التي تحدثها وتنتجها بقية المؤسسات الاجتماعية والإعلامية والسياسية والاقتصادية فتعمل على تشكيل الإنسان وصقل شخصيته، وإنَّ محاولات رصد الأسرة المسلمة مرتبطة بمعرفة تلك العوامل المؤثرة في وظيفة الأسرة وأنشطتها وأنواع العلاقات الرابطة بين أفرادها، فالعوامل المؤثرة في تغييرات الأسرة كثيرة منها: العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية، ولكل عامل من هذه العوامل أثره البارز في إحداث تغييرات واضحة في الأسرة المسلمة، ويعد العامل الاقتصادي من

أكثر العوامل استخداماً في نظريات التغيير الاجتماعي؛ فطبيعة العمل ومصدر الدخل وإمكانية الحصول على السلع هي التي تحكم العلاقات الاقتصادية بين الناس وهي التي تشكل محور اهتمام الأسرة، وإنَّ استشفاف مستقبل العوامل الاقتصادية يوحي بوضع مأساوي تعيشه المجتمعات الإسلامية مستقبلاً في ظل الفوارق المعيشية الصارخة بين أبنائها، فالأسرة التي تعيش في وفرة مادية في عصرنا الحاضر ستميل إلى الأنماط الاستهلاكية، واستيراد المواد الكمالية، وسيتضح ميل هذه الأسر إلى تقليد النموذج الغربي في العلاقات الأسرية، وفي العادات الاجتماعية ومعايير السلوك غير المتزن، وبذلك نتوقع أن يكون الميزان في مستقبله راجحاً لصالح تلك المجتمعات التي لا تملك تماسكاً أكثر وأوضح في تحديد الهوية الإسلامية في سلوكها وأنماط علاقاتها، ويمكننا توقع مستقبل الأسرة المسلمة في المجتمعات ذات الوفرة المادية عند عدم وجود خطط واعية لتلك الأسرة، فإن وجدت البرامج الإعلامية للتوعية بين الناس في مجال تحديد الهوية، والابتعاد عن الأنماط السلوكية الغربية، والتحرر من سمات الاستهلاك، والحث على الإنتاج كقيمة حياتية، فإنَّ ذلك سيؤثر على مسلك الأسرة المسلمة في المستقبل، وكذلك فإنَّ أي رخاء اقتصادي متوقع في المجتمعات المسلمة الفقيرة، يعقبه تحسن في الخدمات الصحية مما يترك أثره في استقرار الأسرة، إذ أنَّ انخفاض مستوى الدخل في كثير من المجتمعات الإسلامية قد أدى إلى تقليص في مستوى الخدمات الترفيهية؛ لأنَّ الجانب الترفيهي له الدور المعلوم في ترابط الأسرة الصغيرة.



الحلقة الثانية عشر

القواعد التي وضعها الإسلام

لحفاظ على الأسرة



القواعد التي وضعها الإسلام للحفاظ على الأسرة

لقد وضع الإسلام القواعد الحكيمة للحفاظ على الأسرة من الشقاق والشتات، وأرسى المبادئ القويمة التي تدرأ عنها المشكلات، تلك المشكلات التي تنغص على الزوجين سعادتهما وتذهب بالمودة والسكينة بينهما، كما منع الإسلام كل ما من شأنه أن يفرق بين أفرادها أو يعيق الأسرة عن تحقيق أهدافها، وإنَّ اهتمام الإسلام بالأسرة له أسبابه؛ فالأسرة هي اللبنة القوية التي يبنى بها صرح المجتمع المسلم، وهي المدرسة الإيمانية التي تخرج الأجيال المسلمة، وإليك نماذج لحوارات أسرية عرضها القرآن الكريم تجلى فيها أدب الحوار الأسري ومعالن الخطاب التربوي الذي يؤصل في النفوس حقيقة الإيمان وأخلاق القرآن، ولعلنا نقف مع نموذجين من هذه الحوارات:-

النموذج الأول- الحوار بين الابن الصالح والأب الطالح:- والذي يتمثل بحوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه^(١)، حيث قال إبراهيم «الابن»: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(٢)، فقال الأب: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

(١) كان آزر أباً النبي إبراهيم عليه السلام بالتبني وليس بالنسب.

(٢) مريم: ٤٢-٤٥.

وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿١﴾، فقال نبي الله إبراهيم ﷺ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ﴿٢﴾، وقد تضمن الحوار دروساً عدة منها:-

أ- الأدب في حديث الابن لأبيه وتودده إليه وتقديره له:- فهو يبدأ حديثه بذكر تلك اللُحمة العظيمة والرابطة الجليلة، إنَّها وشيجة الأبوة، فيناديه بها بأدبٍ جمٍّ: «يا أبت»، وهكذا ينبغي أن يحدث الابن أباه وأمه، كما أمر الله تعالى بذلك فقال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣﴾، ومن أكبر العقوق أن يخاطب الرجل أباه كما يخاطب السيد خادمه.

ب- أهمية التوحيد في دعوة الرسل:- فهي الأصل الأصيل والركن الركين الذي قامت عليه الرسالات، وهي الكلمة الأولى التي وجَّهها إبراهيم إلى والده: «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنك شيئاً»، وما من رسول بعثه الله إلَّا كان أول ما دعا إليه هو توحيد الله، وفي ذلك قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٤﴾، وكذلك بيَّن الحوار درساً آخر وهو أن كثيراً من الآباء يأنف النصيحة من ابنه استكباراً على الولد أو استصغاراً له، ولذا بيَّن إبراهيم ﷺ أنه إنَّما يستمد علمه

(١) مريم: ٤٦.

(٢) مريم: ٤٨.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الأنبياء: ٢٥.

في دعوته من مصدر علوي وليس من ذات نفسه بقوله: «إِنِّي قد جاءني من العلم ما لم يَأْتِك فأتَّبِعْنِي»، لذا ينبغي للأبناء إذا شعروا بعدم تقبل الوالدين للنصح منهم أن يلجؤوا إلى بعض الأقارب لنصحهما، أو إلى الاستماع إلى المحاضرات الإسلامية التي تناقش ذلك الخلل أو الخطأ أو أي مصدر خارجي أو وسيلة تلقى قبولاً لدى الوالدين؛ ليستجيبوا للنصح ويرجعوا للحق، ومن الدروس المستفادة من الحوار هو أنَّ المحاور أو المتحدث يوضح حرصه واهتمامه بمصلحة الطرف الآخر؛ ولذلك بيَّن إبراهيم عليه السلام لأبيه خوفه عليه من اتباع الشيطان؛ فيحق عليه عذاب الرحمن حيث قال: «يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا»، كذلك الصبر على الوالدين وحسن صحبتها وإن كانا مشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(١)، لذا لم يفقد إبراهيم عليه السلام برّه وعطفه وأدبه مع أبيه بالرغم من قسوة عباراته وجهالة كلماته، ولم يزد إبراهيم عليه السلام على قوله: «سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي»، ومع هذا الإحسان، فإنّه لا يعني مشاركة الأب في منكراته، فحسن صحبة إبراهيم عليه السلام لأبيه لم يمنعه من اعتزال شركه وكفره، ومن ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه، فإبراهيم عليه السلام عندما اعتزل أباه وقومه وهجر أهله ودياره، ورحل إلى حيث يدعو ربّه وحده، لم يتركه الله وحيداً؛ بل عوضه أهلاً خيراً ممن ترك، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا

النموذج الثاني- بين الأب الصالح والابن الطالح:- ويتمثل بحوار نبي الله نوح عليه السلام مع ابنه، حيث قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾^(١). قال الابن: ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾^(٢). قال الأب: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾^(٣)، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(٤)، فهذا حوار أسري بين الأب وابنه يعكس آداباً أخرى من أدب الحوار الأسري منها الرحمة في الخطاب؛ فكما أن الصغير يؤمر بتوقير الكبير، فالكبير أيضاً ينبغي أن يرحم الصغير، وقد قال عليه السلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا»^(٥)، وهكذا نجد أن خطاب نوح عليه السلام لابنه تفيض منه الرحمة والرفقة وهو أيضاً بتلك الوشيجة «البُنوّة»: «يا بُنَيَّ اركب معنا»، وهذا يؤكد حرص الأنبياء على تربية أبنائهم، فالأسرة المسلمة يمكن أن تجني من الحوار منافع عظيمة، فبالحوار يمكن أن نغرس الإيمان بالله تعالى، كما يمكن أن نحل خلافاتنا، وأن نعلم أولادنا الصدق في القول والأمانة في العمل، ونقوم بالأخطاء.

(١) مريم: ٤٩.

(٢) هود: ٤٢.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) هود: ٤٣.

(٥) هود: ٤٣.

(٦) أمالي المفيد: ١ / ٩، بحار الأنوار: ٧٢ / ١٣٧.

الفهرس

الحلقة الأولى:

- ٥ تجلّ روح الأم بين أعضاء الأسرة

الحلقة الثانية:

- ٩ ماذا نفعل عندما تواجه أسرتنا أزمة؟

الحلقة الثالثة:

- ١٤ المنهج التربوي العام في العلاقات الأسرية

الحلقة الرابعة:

- ٢٠ أبرز العوامل التي تزعزع استقرار الأسرة

الحلقة الخامسة:

- ٢٥ التلاحم الأسري وأهميته في بناء المجتمع

الحلقة السادسة:

- ٣٠ المرأة المسلمة بين التغيير الاجتماعي وحماية الأسرة

الحلقة السابعة:

- ٣٤ المقوّمات الصحية الاجتماعية للأسرة

الحلقة الثامنة:

٣٩

تقوية الروابط بين أفراد الأسرة

الحلقة التاسعة:

٤٤

الطفولة والمراهقة ودور الأسرة والمجتمع

الحلقة العاشرة:

٤٩

المقومات الاقتصادية للأسرة

الحلقة الحادية عشرة:

٥٤

الأسرة المسلمة والتحوّلات الحضارية الجديدة

الحلقة الثانية عشر:

٥٨

القواعد التي وضعها الإسلام للحفاظ على الأسرة